Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومع هذا كله أمانة يثق بها العدو فما بال الصديق ؟ . . وحسبك من ثقة الناس به ما أودعوه من أماناتَ وهم يناصبونه العداء ، فلم يخرج للهجرة وهو مهدد فى سرّبه حتى رد الأمانات إلى أصحابها ، وقد يكون فى ردها ما ينبههم إلى خروجه ويأخذ عليه سبيلَ النجاه ، وهذا إلى اشتهاره بالأمانة فى صباه حتى سمى بالأمين قبل أن يتجرد لدعوة تنبغى لداعيها أمثال هذه الصفات .

* * *

كل هذه المزايا النفسية – بل بعض هذه المزايا النفسية – خليق أن يتم لصاحبه أداة الصداقة أوفى تمام ، وأن يجعله محبا لمن حوله جديرا منهم بأحسن حب وولاء . فلم يعرف فى تاريخ العظمة – لا بين الأنبياء ولا غير الأنبياء – إنسان ظفر بنخبة من الصداقات على اختلاف الأقدار والبيئات والأمزجة والأجناس كالتى ظفر بها محمد ، ولم يعرف عن إنسان أنه أحيط من قلوب الضعفاء والأقوياء بما يشبه الحب الذى أحيط به هذا القلب الكبير .

تقدم فى بعض فصول هذا الكتاب حديث زيد بن حارثة الذى خطف من أهله وهو صغير ثم اهتدى إليه أبوه واهتدى هو إلى أبيه على لهفة الشوق بعد يأس طويل ، فلما وجب أن يختار بين الرجعة إلى آله وبين البقاء مع سيده « محمد » اختار البقاء مع السيد على الرجعة مع الوالد ، وشق عليه أن يحتجب عن ذلك القلب الذى غمره بحبه ومواساته ، وهو ضعيف شريد لا يرى ذويه ولا يدرى من هم ذووه .

وكان لا يغنى من لازموه أن يلزموه فى الحياة حتى يثقوا من ملازمتهم إياه بعد الممات . فضعف مولاه ثوبان ونحل جسمه وألح عليه الحزن فى ليلة ونهاره ، فلما سأله السيد العطوف يستفسره علة حزنه ونحوله قال فى طهارة الأبرار : « إنى إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة ، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأنى إن دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين فلا أراك » ورويت هذه القصة فى أسباب نزول الآية الكريمة : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .